

إلى الذين سلكوا طريق ذات الشوكة

فاقتلعوا كل أشواك الطريق

إلى الذين يكتبون بجهدهم حروف النور

فتضيء للأمة طريق المسير

إن الذي قضم ظهر المجتمعات البشرية البالغة التمدن والتطور، والتي سخرت كل ما في الطبيعة لخدمتها ورفاهيتها، هو فراغها من القيم الأخلاقية. لقد حققت هذه المجتمعات جميع متطلبات الحياة المادية. وبمختلف كمالياتها. حتى بلغت حد الرفاهية، ولكنها رغم ذلك لم تكتف ولم تحصل على المطلوبها. وإنسان المجتمع المادي يعترف بذل صراحة. ففي الوقت الذي كانت تتراوح ساعات العمل فيه ما بين أربع عشرة إلى ستة عشرة ساعة من العمل الشاق يومياً باتت اليوم تتراوح ما بين خمس إلى ست ساعات، الأمر الذي سمح بازدياد أوقات الفراغ إلى 19.18 ساعة يومياً مع إمكانية ملئها بكافة وسائل الراحة والترفيه المتطورة جداً، بفضل التطور الصناعي والتكنولوجي، وبالرغم من كل ذلك فإن الإحساس بلذة العيش لا زال يتضاءل يوماً بعد يوم.

وتأتي الإحصاءات لتكشف الواقع المرير الذي تعيشه المجتمعات "الراقية". فكثرة جرائم القتل وحالات العنف، وارتفاع نسبة الانتحار وتزايدها. وتفكك العائلة. النواة الأساسية في المجتمع البشري. وتمزقها، مضافاً إلى الاضطرابات النفسية وتزايد عدد مراكز العلاج النفسي، وفقدان حالة الأمن والاستقرار الاجتماعي، كل ذلك يدلّ بوضوح على ما نقول.

لقد انحصر كل ما يسعى إليه إنسان اليوم في تسخير الطبيعة لإشباع رغباته وغرائزه، وأهملت المعنويات والحاجات الروحية. لكننا بحمد الله وبركة الإمام الراحل (قده) ازددنا توجهاً واهتماماً بالجانب الفطري المعنوي وبتنا ندرك أصالة هذا التوجه وأولويته. والقيادة الواعية في يومنا هذا تؤكد

دائماً على أهمية ضرورة ملء الفراغ الروحي لدى كافة فئات المجتمع وطبقاته، وهي تنتهز كل الفرص لأجل أداء هذه المهمة العظيمة.

الكتاب الذي بين يدي القارئ الكريم هو بعضٌ من بيانات القائد (دام ظله) والتي كان قد وجهها لمجموعة من الأخوة المجاهدين بلسان الناصح المشفق تماماً كما كانت نصائح الإمام الراحل (قده) من قبل، نضعها بين أيديكم وكلنا أمل أن نخطو باتباعها نحو بناء الذات وتركيز النفس بإذن الله تعالى.

ويمثل الكتاب الذي نقدمه لقرائنا الأعزاء مجموعة دروس ألقاها سماحة الإمام القائد على مسمع مجموعة من الأخوة المجاهدين العاملين في قسم الحراسات.

وهذه الدروس عبارة عن سلسلة من المواعظ الأخلاقية اللطيفة التي تحاكي الروح بكل سلاسة وبساطة. وأهميتها تكمن في أنها صادرة عن المربي الأول في الأمة الإسلامية. فكل موعظة فيها تمثل برنامجاً عملياً لتهديب النفس وتنبيه الغافلين .

لأجل المزيد من الفائدة قام مركز بقية الله الأعظم (ع) بعد ترجمة هذه الدروس بإضافة هوامش، كل واحدٍ منها يتضمن مجموعة من الأحاديث المتعلقة بالدرس.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المتمسكين بولاية الفقيه العادل الجامع للشرائط.

والحمد لله رب العالمين

من الأمور التي حثّ عليها شرع الإسلام المقدس أن يبكي الإنسان على نفسه. ولا شك أننا سنبكي جميعاً على أنفسنا فيما لو أدركنا واقعنا. فنحن في الحقيقة في غفلة عن حالنا.

لقد خلق الله الإنسان لأجل هدف محدد، وهو يتحمل المسؤولية، وعليه أن لا يقضي حياته وعمره في غفلة عن ذلك الهدف وتلك المسؤولية.

إن ما تسمعون من أن أئمتنا الأطهار (ع) كانوا يكونون، مع أنهم أهل الصلاة والعبادة، وأهل العرفان والبصيرة، ولم يكن يخفى عليهم شيء من المعارف الإلهية، إنما كان بسبب عرفانهم وإدراكهم للواقع.

أئمتنا (ع) . مع ما هم عليه . يكونون! فمن أجل أي شيء، ولماذا؟ وبالطبع، إن عدم البكاء يعدّ تقصيراً عند من وصل إلى تلك المقامات. أما بالنسبة لنا، فالأمر ليس كذلك. نحن ننشغل في تأمين مستلزمات الحياة من طعام وشراب وترفيه وغيرها، ومع أن طلب هذه المباحات لا إشكال فيه، وقد يصبح مرجحاً في بعض الحالات بالنسبة لأمثالنا، إلا أن من وصل إلى تلك المقامات من القرب الإلهي سيكون صعباً عليه جداً أن يصرف لحظة واحدة من حياته في غفلة، حتى ولو كانت لتأمين متطلبات الحياة الضرورية. وهو لأجل ذلك يبكي : يبكي لأجل تلك اللحظة. أنا وأنتم . طبعاً . لا ندرك حقيقة هذا البكاء، ولذلك نتعجب كيف تكون لحظة واحدة من الغفلة سبباً لكل هذا البكاء!!... أجل، فهم يرون ما وراء الحجاب، أما نحن فمحمجوبون عن الرؤية..

#### يوم الحسرة والندامة

يقول الله تعالى في إشارة إلى يوم القيامة: {وأُنذِرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر}... إن كل لحظة واقعية، والتي قد تكون أقل من ثانية واحدة، تصنع لكم الدرجات العليا في الآخرة، ولكنكم يوم القيامة سترون كيف أن آلاف ملايين اللحظات قد ضاعت في الدنيا مقابل لا شيء، أفلا يورث هذا الأمر ندماً؟!

يوم الحسرة هو هذا؛ حيث ترون أن قسماً من لحظات عمركم قد صُرفت في مسيرة البعد عن الهدف والبعد عن الله تعالى. ولهذا، فإن البكاء على النفس من خير الأعمال. بكاء الإنسان على العقبة بعد الموت ويوم القيامة، هذا اليوم الذي قد يكون عذابه أشد بكثير من عذاب القبر وآلامه، هذا البكاء هو من الأعمال الصالحة... فهل عسانا، ونحن نرى الموت من حولنا، ونستطيع أن نتصور ظلمات القبر ووحدته، أن نستيقظ قبل فوات الأوان؟!

نحن الآن نعيش بين الأصدقاء والأحباء، وننعم بملذات الدنيا وسعاداتها، ولكن سيأتي زمان، من الممكن أن يكون بعد ساعة واحد أو سنة أو عشرين سنة، نفقد فيه كل أعزائنا وملذاتنا، ونبقى في وحدتنا تحت التراب.

في ذلك الحين، ستكون تلك الغربة وذلك البعد عما اعتاد عليه الإنسان طيلة حياته من أصعب الأمور، خاصة عندما يرى جميع أعماله في الدنيا حاضرة ومحيطه به، ويعلم أن سؤال منكر ونكير حق، كما نقرأ في زيارة آل يس.

يوم القيامة الذي قد يبدو لنا، بمنظارنا الدنيوي صعباً، هو في الواقع أصعب بالآلاف المرات مما نتصوره، ولكن بما أنه بعيد عن أنظارنا في الوقت الحاضر، فإننا لن ندرك قيمة البكاء على هذه المسائل، ولن نعرف فطاعة يوم الحسرة .

أنتم تحبون البكاء على أنفسكم، ولكنكم تتركون هذا خجلاً. والله يأمرنا أن لا نترك هذا الأمر حياء. إن كنتم تحبون العبادة تعبدوا. ولا يقولن أحدكم إنني إذا صليبت ركعتين سيقول الآخرون عني: هذا وراء! فليقولوا ذلك وليتركوا هم الخطأ، ولكن لا ينبغي أن تتركوا هذا العمل بسبب الناس.

أحاديث النور

عن الإمام علي (ع) قال: "طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله عز وجل، لم يطلع على ذلك الذنب غيره".

الرسول (ص) / البحار، ج93، ص331

"كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث: عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله".

الإمام الباقر (ع) / البحار، ج7، ص195

"ما من قطرة أحب إلى الله عز وجل من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله، وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله عز وجل".

الإمام زين العابدين (ع) / البحار، ج69، ص378

"البكاء من خشية الله ينير القلب، ويعصهم من معاودة الذنب".

أمير المؤمنين (ع) / غرر الحكم

"سبعة في ظل عرش الله عز وجل يوم لا ظل إلا ظله: ..... ورجل ذكر الله عز وجل خالياً ففاضت عيناه من خشية الله".

الرسول (ص) / البحار، ج84، ص2

"بكاء العيون وخشية القلوب من رحمة الله تعالى ذكره، فإذا وجدتموها فاغتنموا الدعاء".

أمير المؤمنين (ع) / البحار، ج93، ص336

إن من أعظم النعم الإلهية التي وهبها الله للإنسان نعمة الدعاء. يكفي أن الله سبحانه وتعالى هو خالقنا ومولانا، ونحن عباده الضعفاء، وقد أجاز لنا أن نطلب منه ونطلبه، فهذا من أكبر نعم الله وأعظم مننه على الإنسان. ولولا نعمة الدعاء لكان الإنسان في سجن خانق، كما هو حال الذين لا يؤمنون بالله عز وجل. ولا يقولن أحد انه إذا كان هؤلاء في سجن خانق، فلماذا لم يختنقوا بعد! كلا، فهم يختنقون بالفعل.

يعيش الإنسان حياته اليومية دون أن يلتفت إلى نفسه وإلى ربه ما دامت جميع أموره تسير على ما يرام. لكن يكفي أن يقع في مأزق واحد حتى يعلم أهمية ذكر الله ودعائه، وقيمة مخاطبته وطلبه.

نحن قد رأينا الكثيرين من المساكين الذين عانوا من السجون والشدائد ولم يكونوا مؤمنين بالله، وكنا نشفق لحالهم. ففي تلك الحالات التي تنسد جميع الأبواب على الإنسان وتشتد عليه الدنيا، لا ينجو ولا يفلح إلا من كان مع الله، حاضراً بين يديه، مسموحاً له بالتكلم مع ربه.. فأمثال هذا هم الذين ينعمون بالأمن والطمأنينة والراحة الحقيقية، وكل من عداهم مسكين خاسر.

يعيش الإنسان حياة صعبة. والدعاء نعمة الله وباب الفرج. وويل لمن أغلق هذا الباب على نفسه، وويل للغافلين الذين لا يطلبون من الله شيئاً.

ليس الطلب من الله أن يقول المرء بلسانه "اللهم ارحمني واقض ديني وافعل بي كذا وكذا..." فليس هذا هو الطلب، إنه بعض تموجات وذبذبات صوتية لا قيمة لها. الطلب الحقيقي هو عندما يكون القلب وجميع الحواس مع الله وتحت تصرفه، ففي هذه الحال يُستجاب الدعاء قطعاً. إن قيمة الدعاء بالنسبة للداعي أسمى من استجابته، فنفس حالة الدعاء أعظم من استجابة الدعاء. وقد نُقل عن أحد كبار العرفاء قوله: "أنا من أن أحرم من الدعاء أخوف من أن أحرم من الإجابة".

إن المسكين هو المحروم من الداء والغافل عن التكلم مع ربه. أنتم الشباب يجب أن تدعوا وتتضرعوا وتتكلّموا مع الله، وتطلبوا منه حوائجكم، اطلبوا منه كل شيء، وكل ما يحلو لكم.

وبالطبع، إن من يعيش حالة الأُنس مع الله لن تتبادر إلى ذهنه الأمور الصغيرة، بل سيكون منصرفاً بشكل تام إلى ما هو أعظم وأكبر. القليل هو عشرة آلاف ليرة (مثلاً)، والأكثر هو عشرة ملايين، ولكن الأعلى والأثمن هو طلب المغفرة من الله. وفي المناجاة الشعبانية، يقول الإمام (عليه السلام): "إلهي، ما أظنك تردني في حاجة قد أفنيت عمري في طلبها منك". فما هي؟ إنها "في ما ادّخر".

الدعاء للمغفرة

وفي دعاء أبي حمزة الثمالي: "وإن قوماً آمنوا بألسنتهم ليحققوا به دماءهم". فإيمان بعض الناس بالله هو مجرد لقلقة لسان ليحفظوا أنفسهم، وليتمتعوا ببركات المجتمع الإسلامي. ولكننا نرى في هذا الدعاء: "فإنّا آمنّا بك بألسنتنا وقلوبنا لتعفو عنا". فجعل العفو والمغفرة الإلهية هدفاً للإيمان.

إن نيل مغفرة الله هو من أعلى المراتب وأعظم الحوائج. وعلينا أن نطلب هذا الأمر من الله دائماً ونسأله التفضل علينا وإعانتنا في جميع حوائج الدنيا والآخرة.

أنتم أيها الشباب، عندما تدعون، يجب أن تعلموا بأنكم تقفون بين يدي الله دون أن يكون ذلك في مخيلتكم، لأن الله لا يمكن تصويره أبداً. يجب أن تتصوروا أنفسكم عبيداً ضعافاً في غاية المحدودية والعجز. وهذا هو الواقع فعلاً. أنا وأنتم قدراتنا محدودة جداً. فجرثومة تدخل إلى أجسامنا تفقدنا السيطرة بشكل كامل. زكام حاد يصيب أحداً يشعره بالعجز.. إلى غير ذلك من الأمراض والعوارض.

علينا أن نستحضر دائماً محدوديتنا وضعفنا وحقارتنا أمام الله وأمام أوليائه. وعندما نطلب يجب أن نعرف أن المولى هو صاحب الاختيار وبيده الإجابة.

ينبغي أن نردد بألسنتنا ما نريده من أعماق قلوبنا، وهذا هو الدعاء الذي يقربنا من الله.

ادعوا ما استطعتم؛ وادعوا أن يهبكم الله السكينة.

وإذا دعوتكم فأدعوا لنا كذلك.

أحاديث النور

"إن الله تبارك وتعالى أخفى... إجابته في دعوته، فلا تستصغرون شيئاً من دعائه، فربما وافق إجابته وأنت لا تعلم".

البحار، ج69، ص274

"أكثر من الدعاء، فإنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله إلا بالدعاء، وليس باب يكسر قرعة إلا يوشك أن يفتح لصاحبه".

الإمام الصادق (ع) / البحار، ج93، ص295

"إذا ألهم أحدكم الدعاء عند البلاء فاعلموا أن البلاء قصير".

أبو عبد الله (ع) / البحار، ج93، ص381

"ألا أدلكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: تدعون ربكم بالليل والنهار، فإن سلاح المؤمن الدعاء".

البحار، ج93، ص294

"أعلم الناس بالله سبحانه أكثرهم له مسألة".

أمير المؤمنين (ع) / غرر الحكم

"سئل النبي صلى الله عليه وآله عن اسم الله الأعظم، فقال: كل اسم من أسماء الله أعظم، ففرغ قلبك من كل ما سواه وادعه بأي اسم شئت".

البحار، ج93، ص322

إن بناء الحياة الإنسانية قائم على أساس مراعاة الناس بعضهم البعض. فبدون الرعاية والمودة والاهتمام وغيرها من المشاعر الأخرى لا تستقر الحياة البشرية، ولا تقوم لها قائمة. وهذه المشاعر موجودة عند الإنسان بوعيه والتزامه. بينما لا توجد بهذه الصورة في الحيوانات. وإنما تكون بصورة غرائزية.

وتتفاوت هذه المشاعر عند الناس من حيث الأهمية والمؤثريّة. منها رعاية حقوق الوالدين.

ينبغي على من أنعم الله عليه (وخاصة الشباب) بنعمة وجود الوالدين أو أحدهما أن يؤدي حق هذه النعمة وشكرها. ولا بأس أن نذكر في هذا الخصوص الرواية المروية عن الرسول الأكرم (ص) حينما جاءه أحد الأشخاص وسأله: من أبر؟. فلإنسان كثير من الأقارب والأصدقاء والمعارف الذين تجمعهم بهم علاقات مختلفة. فإلى من يجب أن يتوجه بالإحسان؟

أجاب الرسول (صلى الله عليه وآله): أمك.

فسأله الرجل ثانية: ثم من؟

فقال الرسول (ص): أمك.

فسأله الرجل ثالثة: ثم من؟

أجاب الرسول (ص): أمك.

وهذا يعني أن المسافة بين حق الأم وباقي الحقوق واسعة جداً. وعندما سأله الرجل مرة رابعة: يا رسول الله، ثم من؟ قال الرسول: ثم أباك.

وهكذا نفهم أن حق الوالد كبير أيضاً، لكن الأولوية دائماً للأم. وأنا أقول لكم أن أداء حقوق الوالدين، وإضافة إلى آثاره الإلهية الأخروية، فإنه يورث بعض التوفيقات المادية والمعنوية والتي لا أقلها حصول السعادة والرضا كأثر طبيعي لهذا العمل.

ذكرى مفيدة:

من المفيد أن أنقل لكم بعض التجارب الشخصية التي تعتبر مصداقاً لما نقول. إنني كلما كنت أوفق في مجال ما وأعيد حساباتي، أجد أن كل توفيق وبركة حصلت لي تعود إلى عمل خير عملته مع والدي.

قبل وفاة المرحوم الوالد بحوالي عشرين سنة. أي كان له من العمر سبعين سنة. ابتلي رحمه الله بمرض في عينيه كاد أن يؤدي إلى فقدانه بصره، وكنت في تلك الفترة أتابع دراستي وسكني في مدينة قم، وبالتدريج علمت من خلال الرسائل التي كان يبعثها لي الوالد أنه لم يعد يرى جيداً. فقصدت مشهد ووجدته بحاجة إلى طبيب، فراجعنا الطبيب عدة مرات ثم عدت إلى قم لضرورات الدراسة، وفي العطلة عدت إلى مشهد واهتممت بعلاج الوالد، ولكن أي تطور في حالة عينية لم يحصل، فرجعت إلى قم مرة أخرى.

في سنة 43هـ ش [1964م] اضطرت أن آخذه إلى طهران لعدم استفادته من العلاجات في مشهد، ولكننا في طهران أيضاً لم نوفق لعلاج لهما. بالطبع بعد حوالي ثلاث سنوات عولجت إحدى عينيه وبقي يرى بواسطتها إلى آخر عمره، لكن قبل ذلك لم يكن يرى أبداً حتى أننا كنا نأخذ بيديه لينتقل من مكان إلى آخر. وقد أحزنني هذا الأمر كثيراً فهو لم يعد قادراً على المطالعة أو معايشة الآخرين أو أي عمل آخر. لقد كان ذلك صعباً علي بشكل كبير.

كان الوالد يستأنس بوجودي استئناساً خاصاً بالمقارنة مع إخوتي. فهو لم يكن يذهب إلى الطبيب إلاّ معي. كنت أقرأ له الكتب وتناقش المسائل العلمية، حتى شعرت أنني بتركه سيكون إنساناً بلا عمل، وهذا كان ثقيلاً عليه جداً.

المعاملة مع الله:

في أحد الأيام كنت منزعجاً جداً تساروني الشكوك والأفكار التي ترجّح أن أرجع أبي إلى مشهد وأعود إلى قم. لكن لصعوبة الأمر عليّ ذهبت إلى أحد الأصدقاء، وكان إنساناً عارفاً، واخبرته بما يجري معي وبما أشعر به من آلام وضيق صدر. فأنا من جهة لا أستطيع أن أترك والدي، ومن جهة أخرى أرى أن

مستقبلي ودنياي وآخرتي وصلاحيهما في قم فقط. عندها تأمل قليلاً، وقال لي: اترك مدينة قم واذهب وابق في مشهد. أفعل ذلك لأجل الله.

فكرت ووجدت أن كلامه صحيح، فما أحلى أن يتعامل المرء مع ربه. قررت أن أعود إلى مشهد، فالله تبارك وتعالى إذا أراد يستطيع أن يأتي بدنياي وآخرتي إلى مشهد. عندما اتخذت ذلك القرار انشرح صدري، وفي لحظة انقلبت من حال إلى حال. عدت إلى البيت براحة وسرور وأخبرت الجميع بقراري.

لقد وهبني الله الكثير من التوفيقات إثر ذلك. وعلى أي حال فإنني أعتقد أن ما حصلت عليه من توفيقات في الحياة إنما يعود إلى البر الذي خصصت والدي به. ذكرت هذه الحادثة لتنبهوا لأهمية هذه المسائل عند الله تعالى.

#### حقوق الوالدين بعد الموت

الإحسان إلى الوالدين لا يختص بزمان حياتهما، بل إنه يتعداه إلى ما بعد الممات أيضاً. كل إنسان يستطيع أن يحسن إلى والديه ويبرهما. وقد ورد في الروايات أن البعض ممن يكونون بارين بوالديهم في حياتهم يصبحون عاقين لهم بعد مماتهم، والبعض يصبح باراً بوالديه بعد مماتهم، وقد كان عاقاً لهم من قبل. إن برّ الوالدين بعد مماتهم يكون بالاستغفار والدعاء لهم والتصدق عنهم. هكذا ترضى أرواح الوالدين ويحصلون على بركات بر الأولاد.

ينبغي أن تنتبهوا أن تركيزنا على بر الوالدين وأداء حقوقهما لا يعني ترك حقوق الآخرين، فللزوجة حقوق، وللأولاد وللأخوة والجيران حقوق أيضاً. الإنسان العاقل الذكي هو الذي يجمع كل هذه الحقوق ويؤديها للجميع. آمل أن يوفقكم الله لهذا أنتم وجميع المؤمنين إن شاء الله تعالى.

#### أحاديث النور

"في قوله تعالى: "وبالوالدين إحساناً"، الإحسان أن تحسن صحبتهما، وأن لا تكلفهما أن يسألاك شيئاً مما يحتاجان إليه وإن كانا مستغنيين".

الإمام الصادق (ع) / البحار، ج74، ص39

"من سرّه أن يمدّ له في عمره ويزاد في رزقه فليبرّ والديه، وليصل رحمه"

الرسول (ص)

"يجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء: شكرهما على كل حال، وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله، ونصيحتهما في السر والعلانية".

الإمام الصادق (ع) / تحف العقول، ص238

"إن العبد ليكون باراً بوالديه في حياتهم ثم يموتان فلا يقضي عنهما دينهما، ولا يستغفر لهما، فيكتبه الله عز وجل عاقاً. وإنه ليكون عاقاً لهما في حياتهما غير بار بهما، فإذا ماتا قضى دينهما واستغفر لهما فيكتبه الله عز وجل باراً".

الإمام الباقر (ع) / أصول الكافي، ج2، ص164

في قوله تعالى: {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة}: لا تملأ عينيك من النظر اليهما إلا برحمة ورقة، ولا ترفع صوتك فوق أصواتهما، ولا يدك فوق أيديهما، ولا تقدم قدامهما".

الإمام الصادق (ع) / أصول الكافي، ج2، ص158

من الممكن القول إن جوهر وروح الدين هو تجاوز الإنسان لنفسه وأهوائه وأغراضه، وإن زعم شخص أن هذا هو معنى الدين فلن يكون كلامه عبثاً. والمقصود من تخلص الإنسان من نفسه هو أن لا يجعل لها أي شأن مطلقاً أمام إرادة الله وعظمته وأمره ونهيه. وهذا الشخص الذي يصل إلى هذه المنزلة هو المتدين الحقيقي.

إن صلاة المرء وصدقته وحبّه وسائر عباداته لا قيمة لها إن كان يرى لنفسه شأنًا ومقاماً أمام الله. فأعمال المتكبرين غير مقبولة ولا فائدة منها. والذين يرون لأنفسهم مقاماً أعلى من الآخرين ويحسبون لأنفسهم وأنانيتهم حساباً دون اعتبار لشؤون غيرهم من الناس، هؤلاء ستكون عبادتهم ضئيلة الأثر، وإن كانوا في الظاهر من أهل الزهد والطاعة والتقوى، ذلك لأن المتقي حقاً لا يمكن أن يتصف بمثل هذه الصفات. المتكبر، ولو قرأ القرآن وذكر الأذكار وجاهد فإن كل هذه الحسنات لن تؤثر تأثيرها الكامل فيه.

لقد تنوّع الحكام والسلاطين والأمراء على مر التاريخ، ولم يكونوا جميعهم منكبين للدين. البعض منهم كان يعبد الله ويصلي. لم يكن الجميع كمحمد رضا شاه وأبيه تاركين للصلاة. ولقد قرأت في أخبار فتح علي شاه (أحد ملوك القاجارية) أنه كان يستمع لدعاء كميل كل ليلة جمعة هو وعائلته ومجموعة من الناس. لكن ما كان أثر ذلك الدعاء؟! والصلاة التي كان يصليها ناصر الدين شاه الذي ينقل عنه أنه قال ذات يوم: "نظرنا من شمس العمارة فوجدنا الناس فرحين، ونظرنا فوجدنا أن الصلاة قد تأخرت، فصلينا".

فهل تتصورون أن تلك الصلاة كانت مفيدة؟

إن هكذا دعاء وصلاة لا فائدة منها. أعمال كهذه لن تقرب الإنسان من الله، والتاريخ يبرهن لنا ذلك. فلو كانوا قريبين من الله لما ظلموا الخلق كل هذا الظلم، ولما فسقوا وفجروا وأجحفوا الناس حقوقهم.

بكاء هارون الرشيد

كان خلفاء بين أمية وبنو العباس في منتهى السوء والظلم والخبث، ولكنهم كانوا في نفس الوقت يصلّون ويصومون ويكون ويتهجّدون. ويحكى عن هارون الرشيد أنه بكى بكاءً ابتلت لحيته منه عندما نصحه أحد زهاد عصره. هل كان لبكائه أثر؟! في الواقع إن البكاء على النفس هو المطلوب وهو المؤثر. وطوبى لمن يبكي على نفسه. لكن بكاء هارون لم يكن كذلك، فأناية هارون هي الأساس في بكائه، هو يريد كل شيء لنفسه، حتى الله يريد له نفسه. هارون كان يعبد نفسه، وهذا هو التكبر.

انتبهوا، لا تتكبروا. لا تغرّوا أنفسكم بأن لديكم منصب أو إمكانيات أو مستوى علمي أو ميزة وأفضلية معينة. فستكون مثل ذلك الرجل (الملك ناصر الدين شاه) الذي كان ينظر إلى الناس من أعلى شمس العمارة بتحقير واستصغار.

عند محاسبة النفس يجب أن لا يرى الإنسان نفسه فوق الآخرين. وإذا صلّينا وبكينا وتصدقنا وعملنا في طريق الإسلام، فإن ذلك لا يعطينا الأفضلية على هذه المجموعة أو تلك. إن حسّ الأفضلية مضرّ للغاية. لكنه في المقابل لا يمنع المرء من رؤية نفسه أعلى من أعدائه (لأنهم أعداء الله تعالى) إذا كان الدوافع وراء ذلك هو ولاية الله عز وجل. بل في هذه الحال يجب ذلك. الإنسان يجب أن يتواضع أمام أولياء الله وأمام المؤمنين، وإلاّ فالتكبر سيؤدي به نحو الهاوية، والقصص كثيرة حول أحوال المتكبرين في العالم.

#### الحاكم المتكبر

كان يوسف بن عمر الثقفي حاكماً على العراق في عهد هشام بن عبد الملك . أحد خلفاء بني أمية . وقد كان يوسف شديد الظلم والجور، فهو الذي قتل زيد بن علي بن الحسين الذي يعتبر من كبار شهداء الإسلام. كان هذا الحاكم الجائر قصير القامة كثير التكبر والغضب، وقد عرف عنه أنه كان يقتل كل من ينعته بقصير القامة أو نحيف الجسد، ويذكر أن خياطي ملابسه كانوا يأتون بكميات كبيرة من القماش ليأخذوا مقياس الثقفي ويخيطوا أثوابه. وعندما كان يسألهم عن كفاية حجم القماش كانوا يضطرون للقول بأنه بالكاد يكفي أو أنه ناقص، لأن من يقول بأنه كثير يقطع رأسه مباشرة. كان الثقفي في بعض الأحيان يبعث بالقماش إلى الخياط فإذا أرجع الخياط مع الملابس القماش الزائد وقال إنه زيادة عن المطلوب قطع رأسه، كان الخياطون دائماً يجيبون بأن القماش قليل وأنهم سيجهدون لخياطته بشكل صحيح، وذلك الأحمق كان يفرح بذلك.

الغرق في حب النفس يحدث عقداً في نفس الإنسان. ويجب أن نحذر دائماً من الوقوع في هذا المرض والحجاب الذي لا يأمن شره أحد حتى ذوو الصلاح والتقوى. ففي أي مقام كنتم ومهما كانت عبادتكم صالحة استجبروا بربكم وانظروا إلى ما بين أيديكم، فإنه لا شيء أمام الله. إن عظمة الخالق

أوسع من دائرة تفكيرنا. أين نحن من عظمة الله. بل أين نحن من عظمة الأنبياء والأولياء. وأكثر من ذلك ما هي قيمتنا مقابل عظمة الصالحين وكبار رجال التاريخ.

هؤلاء الكبار هم الذي تنازلوا عن النفس في سبيل الله، وذابوا في الأنوار والمحبة الإلهية.

ما هي قيمتنا أمام هؤلاء؟! نحن الذين غرقنا في الدنيا وفي إنيئنا وأوهامنا. أئمتنا يستغفرون ربهم ويتوبون إليه ويتألمون من الذنوب، فأين نحن؟ وذنوب الأئمة ليس من قبيل الغيبة والكذب وغيرها... فهم معصومون، إن أقل غفلة هي ذنب عندهم، عليه يكون وإلى الله يلتجأون وينيبون.

فما هي قيمتنا أمام هؤلاء؟ إننا وفي أي مستوى كنا، يجب أن لا نرى أنفسنا أكثر من تراب تحت أقدامهم.

أحاديث النور

قال الإمام علي (ع): "فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهد... عن كبر ساعة واحدة! فمن ذا بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته؟!.. فاحذروا عباد الله عدو الله، أن يغويكم بدائه وأن يستفزكم بندائه".

نهج البلاغة . 192

قال الباقر (ع): "ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر إلا نقص من عقله مثل ما دخله من ذلك، قل ذلك أو أكثر".

البحار، ج78، ص186

عن الكاظم (ع) قال: "الكبر رداء الله والمتكبر ينزع الله رداءه".

البحار، ج73، ص214

قال الإمام علي (ع): "طلبت الخضوع فما وجدت إلا بقبول الحق، أقبلوا الحق فإن قبول الحق يبعد من الكبر".

البحار، ج69، ص339

عن الإمام الحسن (ع) قال: "لا ينبغي لمن عرف عظمة الله أن يتعاضم، فإن رفعة الذين يعلمون عظمة الله أن يتواضعوا، وعز الذين يعرفون ما جلال الله أن يتذلّلوا له".

البحار، ج78، ص104

قال الباقر (ع): "عجباً للمختال الحضور وإنما خلق من نطفة ثم يعود جيفة وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به".

البحار، ج78، ص104

إن من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان في علاقاته مع الآخرين هو اللين. واللين مطلوب حتى في علاقاتنا مع أعدائنا إلا أن يكونوا أعداء الله، فهؤلاء الكفار مستثنون من ذلك حيث يقول تعالى {وليجدوا فيكم غلظة}.

يجب على الإنسان أن يتخذ اللين شعاراً في تعامله مع الجميع: مع السجناء في سجونهم، والمحكومين بالإعدام حتى تنفيذ الحكم بهم (إلا أن يكونوا أعداء الله)، وحتى مع كل المذنبين الذي سيعاقبون على أفعالهم.

الحدود الإلهية يجب أن تبقى محفوظة

إلا أن اللين والعطف ينبغي أن لا يصل إلى المستوى الذي يخرج فيه المرء عن الحدود الإلهية، فالحد الإلهي يجب أن يبقى محفوظاً. السارق يجب أن يلقي جزاءه، والقاتل والظالم كذلك. كل يلقي جزاءه بحسب ما تقضى الشريعة الغراء. أحكام الله يجب أن تراعى وتنفذ. ومع ذلك كله يبقى اللين مطلوباً، نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر حسبما يأمر الإسلام ونكون لينين بالشكل المناسب. من المهم جداً أن نميز بين هذه الأمور جميعاً.

### عدم الخشونة حتى مع الحيوانات

لقد نهى الإسلام عن الشدة والغلظة والقساوة حتى مع الحيوانات. يروى أنه كان لأبي حمزة الثمالي . راوي الدعاء المعروف بأبي حمزة، وهو كان من أصحاب الإمام السجاد (ع) . حفيد لديه سرب من الحمام. وكثيراً ما كان يزعج هذا السرب أبا حمزة. حتى قام ذات يوم بذبحه كله. وقد سافر أبو حمزة بعد ذلك إلى المدينة لزيارة الإمام السجاد (ع). يقول أبو حمزة: "عندما وصلت ودخلت منزله الشريف وجدت فيه عدداً كبيراً من الحمام. فتذكرت حفيدي وندمت على ما فعلت، كنت أتصور أن تربية الحمام عمل قبيح، ولو كانت كذلك لما وجدت هذا العدد منها في بيت الإمام (ع). دخلت على الإمام وعرضت عليه عدداً من المسائل، فبدأ يجيبني وأنا أكتب. ولكن قلبي وفكري كان منشغلاً بتلك الطيور التي ذبحتها دون رحمة وعطف، فسألني الإمام عن سبب شرودي، فأخبرته ما حدث. عند ذلك تغير لون وجه الإمام ونهاني عما فعلت".

وكان الإمام كان يطلب منه بذلك أن ينصرف من محضره الشريف. وقد وجدت في رواية أن أحد الأئمة (ع) قتل عن غير عمد (ومن الممكن أنها كانت على بدنه وأزعجته فقتلها) فدفع حصاناً كفارة لما فعل: وهذا هو اللين في الإسلام!

### طبيعة الإنسان

طبعاً ليس معنى اللين أن نترك مواجهة الفاسقين والمنحرفين بل من الواجب مواجهتهم. فالبشر نوعان: السيئ الخلق واللين. أصحاب الخلق السيئ يتعاملون مع الناس بغلظة وقساوة، وإن ألقيت عليهم تحية

يجيئونك بغضب، فالغلظة والقساوة تكون من طباعه تماماً كمحمد رضا شاه الذي كانت القساوة. لقد كان قاسياً قبل الوصول إلى الحكم وبعده، هو كان دائماً على نفس الحال. الإنسان الغليظ السيئ الخلق إذا صار ملكاً سيكون كرضا شاه، وإذا صار ضابطاً سيكون كذلك الضابط الذي كنا نراه في السجن سنة 1349هـ ش [1970م]. كانت السلطات حينها قد أتت بمجموعة من الشباب إلى السجن وكنا معهم إضافة إلى عدد من الضباط الذين خالفوا القوانين العسكرية. وفي وقت الاستراحة قال لي أحد مسؤولي السجن، وقد كان يصاحبي ويحبي كثيراً أنه لو أمرني السافاك بقتل هؤلاء الشباب (وكان يقصد بعض الشيوعيين في السجن) لقطعت رقابهم جميعاً فهم أعداء الشاه والدولة، وكل من يكون كذلك يجب أن يقتل. لا أدري ما كان شعوري عند ذلك، ولكني سألته إنه إذا أمروك بقتلي (لأنني مخالف للشاه والدولة) فهل تقتلني، فقال عندها: "أقسم بجدك أنني سأقتلك...". نعم هذا الشخص كانت خصاله هكذا. هذا السيئ الخلق كان يحبي وفي نفس الوقت يقسم بجدي انه يقتلني. فسيئ الخلق سيئ، فقيراً كان أو غنياً، رئيساً كان أو ضابطاً أو بائعاً. ففي مدرسة الحجتية في قم كان يوجد خادم سيئ الخلق. لم يكن هذا الخادم قوياً ولا غنياً ولكنه على العكس من ذلك ضعيفاً، فقيراً، وسيئ الخلق في نفس الوقت. لقد كانت قساوته تنال الجميع. إن الإسلام لا يحب هكذا الأشخاص، بل يحب الذين يدارون الناس ويكثون لهم الحب ويعاملونهم بلين وعطف.

الإنسان ليس مضطراً أن يتسم في وجوه الجميع في علاقاته ومعاملاته، ولكن يجب أن يداريهم على الأقل. نحن ننام في مكان واحد، ونأكل من طعام واحد، وقد نساfer معاً، ونلعب معاً، ولكن يبقى البعض أصحاب خلق سيئ والبعض الآخر لينون.

أحاديث النور

عن جابر عن أبي جعفر (ع) قال: قلت له أن قوماً إذا ذكروا بشيء من القرآن أو حدثوا به صعق أحدهم حتى يرى أنه لو قطعت يده ورجلاه لم يشعر بذلك، فقال: سبحان الله، ذاك من الشيطان. ما بهذا أمروا. إنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل.

ومن كتاب له (ع) إلى بعض عماله:

"أما بعد، فإن دهاقين أهل بلدك شكوا منك قسوة وغلظة واحتقاراً وجفوة، فنظرت فلم أرهم أهل لأن يدنوا لشركهم ولا أن يقصوا ويجفوا لعهدهم، فلبس لهم جلباباً من اللين تشوبه بطرف من الشدة، وداول لهم بين القسوة والرأفة، وامزح لهم بين التقريب والإدناء والابعاد والاقصاء إنشاء الله.

العفو من الصفات التي يجب أن يتحلى بها الإنسان في معاشرته مع الناس، فإن أساء إليكم شخص من الممكن أن تسيئوا إليه كما أساء إليكم. لكن اعفوا عنه واصفحوا، فالعفو من أحسن الصفات وأسمائها في الأوقات التي يتعرض فيها المرء للإساءة أو سوء أدب من قبل أخيه المؤمن، وفي لحظات الغضب والانفعال التي تدعو صاحبها إلى رد السوء بالسوء.

في تلك الحالات يكون الإنسان حيواناً حقيقياً، أسير غضبه ونفسه التي تستهدف فقط منافعها الشخصية. وعند العجز عن رد الإساءة بالمثل يقبل البعض بالذلة والضعف، ومتى سنحت الفرصة للرد يكون الرد وحشياً شديداً. إن هذه مسألة طبيعية لدى الإنسان، ولكن علينا ضبطها وتقييدها. هذه الحالة الحيوانية التي تظهر حين غضبنا وحين الرد على من أساء إلينا، يجب أن نسيطر عليها.

عفو رسول الله (ص)

إن النبي (ص) عفا عن وحشي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب، لقد كان لقتل حمزة في "أحد" وقع كبير على قلب النبي (ص). وقد قيل إن الرسول (ص) أقسم إنه إذا وجد الوحشي سيفعل به كذا وكذا... وبعد حادثة "أحد" التي كانت في العام الثالث بعد الهجرة مرت السنين إلى أن تم فتح مكة في العام الثامن، وكان الوحشي حينها في مكة ففر منها إلى الطائف حيث إنها كانت أبعد، ولكن أهل الطائف عندما رأوا جيوش النبي (ص) تتحرك نحوهم أرسلوا جماعة لإبلاغ النبي (ص) باستسلامهم، فعلم الوحشي بذلك وخاف على نفسه، كما هو حال أمثاله اليوم زمن الحرب مع العراق. نعم فأعداء الثورة الذين فروا إلى العراق كانوا يخافون من الإيرانيين أن يدخلوا العراق ويقضوا عليهم، وهكذا كان الوحشي. ففكر أن يذهب إلى اليمن أو الروم أو الشام، لكن الوقت لم يسعفه ولم يقدر على الذهاب

إلى أي مكان، فقال له أحد أصدقائه انه لا داعي لأن يحزن فالنبي (ص) رجل رحيم وسوف يعفو عنه إن آمن به وبدينه، ولأن وحشياً لم يجد مفراً غير هذا، فقد ذهب إلى النبي (ص) ليلاً ودخل عليه فجأة، حتى إذا ما رآه النبي (ص) نطق وحشي بالشهادتين. لقد نظر النبي (ص) إليه نظرة غاضبة وقال: "هل أنت وحشي". فقال: نعم. وكان من حق النبي (ص) وباستطاعته قصاصه (وإن أسلم)، لكنه قال (ص): "ويحك تغيب عني" حيث تقال هذه الكلمة عند اظهار الرحمة والشفقة والتعامل بالحسنى، وقد يفسر قول النبي (ص) الكريم أنه لم يرد رؤية وحشي حتى لا يثير أحاسيسه ويذكره بالجرم الذي ارتكبه، وهكذا فقد عفا الرسول (ص) عنه.

نموذج آخر من عفو النبي (ص)

يروى أنه في بداية الدعوة الإسلامية أتى رجل إلى النبي في مكة وبصق في وجهه . لاحظوا أن الإنسان اذا بُصق في وجهه كيف سيكون حاله . فقال له النبي (ص) انه سيقته إن وقع بين يديه يوماً. ولقد عرف المسلمون أن هذا الرجل أهان الرسول (ص) وأنه (ص) ينوي قتله. وبعد مرور عدة حروب وانتشار الدين الإسلامي بشر أحدهم النبي (ص) بأنه تم القبض على ذلك الرجل وسيؤتى به إلى النبي (ص). كان النبي (ص) . ومن حقه ذلك . يريد قتله، فلما أُحضر بين يديه نزع النبي (ص) رداءه وسحب سيفه ثم تحرك نحوه، فقال ذلك الرجل: "أشهد أن لا اله إلا الله"، فقال الرسول (ص): "ألست فلاناً؟" قال: "بلى". قال (ص): "أرأيت كيف أذكّك الله وأعز الإسلام"، قال: "نعم، ولكن لا تقتلني" وأسلم... عندها أعاد الرسول سيفه إلى غمده وارتدى عباءته وقال: "دعوه".

طبعاً يصح العفو في غير إقامة الحدود الشرعية، أما فيما يتعلق بالحد الشرعي فيجب تطبيقه دون تردد. لا يمكن أن يعفو الإنسان عن أعداء الله، لكن الإمام وقائد الأمة الإسلامية باستطاعته، ونيابة عن الأمة الإسلامية، العفو عن بعض الكفار والمؤمنين الخاطئين؛ لكن يده ليست مبسوطة إلى الحد الذي يفعل فيه ما يريد. المسلمون لا يعفون عن حق الله، ولكن باستطاعتهم العفو في ما يتعلق بهم.

أحاديث النور

قال الإمام الصادق (ع):

"العفو عند القدرة من سنن المرسلين والمتقين، وتفسير العفوان لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً، وتنسى من الأصل ما أصبت منه باطناً، وتزيد على الاختيارات احساناً، ولن يجد إلى ذلك سبيلاً إلا من قد عفى الله عنه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وزينه بكرامته وألبسه من نور بهائه، لأن العفو والغفران صفتان من صفات الله عز وجل أودعهما في أسرار أصفياه ليتخلقوا مع الخلق بأخلاق خالقهم وجعلهم كذلك. قال الله عز وجل:

{وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم}

ومن لا يعفو عن بشر مثله، كيف يرجو عفو ملك جبار.

قال النبي (ص) حاكياً عن ربه يأمره بهذه الخصال، قال (ص): صل من قطعك، واعف عمن ظلمك، واعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقد أمرنا بمتابعتة، يقول الله عز وجل {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا}.

والعفو سر الله في القلوب، قلوب خواصه ممن يسرُّ له سر، وكان رسول الله (ص) يقول: أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم. قالوا: يا رسول الله، وما أبو ضمضم؟ قال: رجل كان ممن قبلكم، كان إذا أصبح يقول اللهم إني أتصدق بعرضي على الناس عامة.

بحار الأنوار، ج71، ص423

أيها الأعزاء، ها قد حلّ علينا شهر رجب، شهر العبادة والتوجه إلى الله، وهو الشهر الذي يشكّل مقدمة لشهري شعبان ورمضان. ولا شك أن من جرّب الأنس مع ربه في رجب فسوف يتهيأ لشعبان الذي هو من أفضل الشهور، ويقول فيه النبي (ص) "شعبان شهري". هذا لا يعني أن هذا الشهر مختص بالنبي، ولكن كلام الرسول (ص) يدل على أنه في هذا الشهر، ولكثرة فضائله، كان يجهد جهداً كبيراً في سبيل طاعة الله.

ورد في دعاء شجرة النبوة والذي نقرأه في كل ظهر ومساء من شعبان: "وهذا شهر نبيك سيد رسلك شعبان الذي حفته منك بالرحمة والرضوان الذي كان رسول الله (ص) يدأب في صيامه وقيامه في لياليه وأيامه".

النبي (ص) كان دائم الصيام والقيام في شهر شعبان. إذاً هذا الشهر شهر مبارك لا يمكن مقارنته مع جمادى الثانية، فاجعلوا صلاتكم ودعاءكم وذكر الله في هذا الشهر أفضل من الشهر الذي قبله. فإن كنتم تقومون ببعض المستحبات فاسعوا لذلك في هذا الشهر أكثر من السابق، وإن لم تكونوا تقومون بها فابدأوا بذلك في هذا الشهر.

في السابق ذكرت الأخوة أنكم شباب، ومن مستلزمات عملكم التدين والإيمان بالله. استفيدوا من هذه الطاقة وابنوا أنفسكم معنوياً ومادياً. فمعنوياً اسعوا لأن تكونوا عباداً تطبقون أحكام الشريعة من واجباتها حتى المستحبات وأن تجعلوا الأوامر الإلهية نصب أعينكم دائماً. وأما مادياً فتعلموا جميع الفنون اللازمة كالرماية وغيرها وكل ما يناسب عملكم. تعلموا كل شيء بأحسن وجه.

ولكن يبقى الجانب المعنوي هو الأهم، حيث يجب أن لا يكون التدين ضعيفاً عند الأخوة المجاهدين. يتصور البعض أن نفس العمل الذي كانوا يقومون به في السابق يجب أن يستمروا فيه الآن، ولكن النفس البشرية تتحرك نحو الكمال، ولا محل ولا معنى للتراجع. عليكم أن تكثروا من فعل الصالحات التي كنتم تلتزمون بها في السابق من صلوات وصوم مستحب، وحتى مراقبة الأعمال اليومية التي هي من أهم الوظائف لكي نتخلص من كل سيئ في أفعالنا. أنتم معرضون للتلوث بأنواع الفساد، والفساد ليس منحصراً بالجانب الجنسي والاخلاقي بل قد يكون فساداً سياسياً ومالياً ومعنوياً وكل هذا...

وإنني حريص جداً على أن لا يتلوث الأخوة المجاهدين بأي من أنواع الفساد، ولذلك عليكم بالمراقبة. ابدأوا بأنفسكم وانتبهوا للآخرين ولا تتركوا إخوانكم إن انخرطوا في الفساد. اسعوا لاصلاحهم وهدايتهم.

دعاء شهر رجب

يعد الدعاء من فرائض شهر رجب، فهذا الشهر هو شهر الله، شهر التوجه إلى الله وشكره، شهر الدعاء والزيارة، وأعماله كثيرة جداً.

من الأدعية المستحبة والتي تقرأ بعد كل صلاة في شهر رجب دعاء "يا من أرجوه لكل خير"، وقد يقرأ هذا الدعاء بنحوين، قراءة تلتفت إلى المعاني والمفاهيم السامية التي يحملها الدعاء في كلماته، وقراءة لفظية لا يلتفت فيها إلى المعاني ولا تترك أثراً في القلب. طبعاً القراءة الأولى في كل مرتبة تقدم الانسان درجة نحو الله، فهذا الدعاء يمثل حال التضرع والعبودية تجاه الخالق الباري.

"يا من أرجوه لكل خير وآمن سخطه عند كل شر، يا من يعطي الكثير بالقليل، يا من يعطي من سأل، يا من يعطي من لم يسأله ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمة، أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة، واصرف عني بمسألتي إياك جميع شر الدنيا وشر الآخرة، فإنه غير منقوص ما أعطيت، وزدني من فضلك يا كريم".

"يا من أرجوه لكل خير". نحن نرجو الخير والثواب في كل عمل نقوم به، في الحراسة والصلاة، في الكلام الصادق والعمل الخير. نرجوا الثواب في كل عمل إلهي.

حلم الله ورحمانيته

"وآمن سخطه عند كل شر". نحن نرى أنفسنا في أمن من سخط الله في ما نفعله من سيئات... أليس كذلك؟ لا يوجد لدينا أي خوف في ذلك. أليس هذا كافياً ليكون درساً لنا؟ أن أرى نفسي آمنة من غضبه تعالى في كل شر؟ حقاً إن هاتين العبارتين كافيتان لمناجاة الله، ومعناهما أنك يا رب حلیم لا تستعجلني بالعذاب، وهذا يظهر العظمة الإلهية من جهة وصفات العباد من جهة أخرى.

كرم الله

"يا من يعطي الكثير بالقليل". نحن نرى مجاهدات هذه الأمة وبالأخص مظلومية الإمام (س) ودماء الشهداء المضحين الذين كانوا يقدون أنفسهم ويصبرون ويستقيمون مقابل الشدائد والى ما هنالك من أعمال جعلت العالم اليوم يتحول وينقلب على نفسه، وحقاً إن أعمالنا مقابل هذا الثواب قليلة جداً.

"يا من يعطي من سأله". يا من تعطي كل من يطلب منك كل ما يريدك، طبعاً كل ما يصب في مصلحة الإنسان.

أصلاً أساس الخلقة أن يعطي الله عباده ما يشاؤون وإن لم يلتفت الإنسان لذلك، وقد يتقدم أو يتأخر زمن تحقق حاجة الإنسان، لكن لا بد أن تتحقق ولا صعوبة في ذلك. كان البعض يقولون قبل انتصار الثورة إننا ندعو كثيراً ومع كل ذلك الدعاء لم يزل حكم الشاه ونظامه من الوجود! وكنت أقول إن للدعاء وقتاً للإجابة ووقتاً خاصاً به، وإن تصبروا حتى وصول ذلك الزمن يفرج الله عنا، وكما رأينا فقد أتى ذلك الزمن واستجيب الدعاء.

### عطاء النعم دون طلب

"يا من يعطي من لم يسأله"، أي يا من تعطي من لم يسألك من قبل أي عطاء، فعندما تولد هل تطلب من الله لبناً؟ ولكن الله يمدنا بلبن من خلال الأم. نعم إن عطاء الله متحقق دون طلب العباد.

"ومن لم يعرفه" كالكفار والذين لا دين لهم ولا معرفة لهم بالله. وما هو سبب ذلك؟ "تحنناً منه ورحمة" عن رحمة وتحنن.

### أحسن الدعاء

"أعطني بمسألتي إياك جميع خير الدنيا وجميع خير الآخرة": ترون أن الله لا يعطي الإنسان الكثير من الحاجات التي قد تتصورونها خيرة وحسنة، فبعض النعم، بعض الأموال، وبعض الجاه والمقامات قد يكون مضرراً للإنسان، فالله هو العالم بمصلحة الإنسان، لذا يصح أن يقول الإنسان في طلبه "إلهي هب لي الخير فإنني لا أعلم ما هو وأين هو".

"واصرف عني بمسألتني إياك جميع شر الدنيا والآخرة" أي أبعد عني جميع شرور الدنيا والآخرة.

"فإنه غير منقوص ما أعطيت" فمقدرة الله وخزائنه لا متناهية، والنقص مني أنا، منا نحن، نحن ناقصون وضيّقوا النظر. ويجب علينا أن نخاطب الله هكذا، فنقول: "وزدني من فضلك يا كريم".

هنا ينتهي الدعاء، وعندها تأخذ بلحيتك لتظهر منتهى التضرع والذلة والخشية أمام الله سبحانه وتعالى، فقد كان الإمام يأخذ بلحيته باكياً ويقول:

"يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا النعماء والجلود، يا ذا المن والطول، حرم شيبتي على النار"، فإن أعطانا الله النعم ولكن لم يحرم أجسادنا على النار، فهل يكون لذلك فائدة؟؟

أنتم إن قرأتم هذا الدعاء يومياً خمس مرات ستتقربون من الله، وقد سبق أن قلت لكم إن عليكم أن تتيقنوا من هذه المسائل، ولا شك أنكم تعتقدون بذلك وترونه عملاً واجباً ذا أهمية، وهو حربة في وجه أعدائكم، وإن كنتم تعتقدون غير ذلك فإنكم تضيعون حياتكم هدراً.

ونظراً لحساسية عمل الأخوة، عليكم أن تعملوا جيداً. احرسوا جيداً. أدوا واجباتكم بسرعة ولا تتورطوا أو تأسروا أنفسكم بالأوضاع السياسية وتتوسلوا بهذا أو ذاك.

انتبهوا إلى أن هذا العمل عمل طاهر. فأبقوه كذلك، كل شخص مسؤول ومرهون بحياته وعمله الشخصي، ولكنكم أنتم في جبهة قتال، وهذا الجو مناف للحياة المرفهة المريحة. وباستطاعتي قول ذلك لأنني أرى نفسي في الجبهة.

عندما نكون في الجبهة فلنلاحظ أن هذا المكان هو مقابل عدونا، وبهذه النظرة نؤدي وظائفنا والله يكون بعوننا.

تحدث في هذا العالم أمور لا تكون ضمن حساباتنا واختياراتنا. لقد اعتمدت تلك الدول التي أشعلت نار الحرب بين العراق وإيران على الحسابات المادية في لعبتها، ظناً منها أن هذه الحسابات هي

الحاكمة. لكنهم خسروا في الواقع، ولهذا أرادوا بعد فشلهم استرجاع قواهم بخلق مشاكل أخرى. لقد أظهر الواقع عكس ما كانت تقضي به حساباتهم العقلية المنطقية.

أقطاب العالم اليوم يسعون لضرب نفس تلك القوة التي جهزوها هم لضرب الجمهورية الاسلامية. في الواقع لقد أرادوا جعل العراق فزاعة يستفيدون منها في أي حين لضرب الآخرين. لكن ما جرى لم يطابق حساباتهم العقلية والمادية. إن حسابات العقل والمادة تقول إن 313 شخصاً (في غزوة بدر)، ليس لديهم إلا القليل من العتاد وبعض الخيل والجمال إضافة إلى كونهم جائعين، يجب أن يخسروا الحرب مقابل جيش يتألف من ألف شخص مجهز بسيوف وخيول وكافة ما يلزم من عتاد حربي إضافة إلى قوى احتياطية. لكن هذه الحسابات لم تصدق. فقد استشهد القليل من الـ 313 شخصاً وانتصر الباقي. هذا هو الحساب الحقيقي! والحسابات المادية ليست هي الصحيحة في هذه الحياة.

لكن هل يعني ذلك أن نتوقف عن التفكير حيث إنه لا فائدة من الحسابات المادية لأن نتائجها ليست بأيدينا؟ وعلى سبيل المثال أن المصباح الذي يضيئ لنا لا ينفع لرؤية الأجزاء الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة، ولا يكشف ما خلف الجدار، فهل نستطيع القول إنه ولضعف إمكانات هذا المصباح يجب إطفأؤه؟؟

إن ما يستنتج من هذا الأمر شيء آخر: إن ما وراء هذا العالم المادي عوالم أخرى، لكن لا يمكننا القول بأنه لا يوجد نظام في هذا العالم وفي ظواهره أو أن كل ما فيه يحدد واقعه من نفسه.

المسألة التي ينبغي أن نلتفت إليها هي القدرة والارادة الإلهية المحيطة بهذا العلم الطبيعي. إن ما وراء عالم المادة عالم معنوي وملكوتي. وكم يحدث أن تتجلى الإرادة الإلهية في الطبيعة. ففوة القلب لدى شخص أو مجموعة، وإن كانت تبدو أمراً طبيعياً مادياً، إلا أن من أوجد هذه الحالة هو الله، إنها إرادة الله تتجلى في هذا العالم. كثير من الأمراض والأسقام والمشاكل التي تم الشفاء منها إنما عولجت بالدعاء وبالتعلق بالارادة الإلهية.

## أثر الدعاء

لقد أصبحت بعض المسائل قطعية وبقينية بالنسبة إلي. فمثلاً من المسلم لدي أن الإمام كان حياً لمدة عدة سنوات فقط من خلال دعاء الناس. فقد قال لي أحد أطباء الإمام إن ثلاثة أرباع قلب الإمام لا يعمل في حين أنه كان رضوان الله تعالى عليه يتمشى كل يوم ثلاث مرات لمدة نصف ساعة في كل مرة، وكان جسمه طبيعياً غير ضعيف رغم مسؤولياته الثقيلة. كان الإمام يطالع ويفكر أضعاف ما كان عند الأشخاص العاديين. فكيف يمكن أن يبقى شخص حياً برقع قلب؟!

هذه المسائل غير قابلة للحساب بالحسابات المادية، هي معاجز ترجع جميعها لسبب واحد غير قابل للحساب المادي.

انظروا لجميع أموركم بهذه النظرة وهي أنه وراء جميع حساباتكم يوجد مسبب آخر مؤثر للغاية في عاقبة الأمور وهو الإرادة الإلهية.

نحن نقرأ في الصلاة "إياك نعبد وإياك نستعين"، وهذا يعني أننا نطلب أن تكون كل أمورنا تجلياً للإعانة الإلهية. فتوكلوا على الله، واطلبوا منه، واجعلوه فوق إرادتكم. اعلموا أن كل شيء بيده ومنه وهو هادينا. هذه المسألة تتطلب من الذين يعرفونها أن يوثقوا ارتباطهم بالله، فالارتباط بالباري من المسائل الأساسية جداً ولكنه في نفس الوقت ليس أمراً صعباً. المطلوب أن نتوجه لذلك، فالصلاة وسيلة للارتباط بالله كما أن الأدعية كذلك وخاصة الدعاء بعد الصلاة. نفس دعاء رجب بعد الفرائض اليومية هو وسيلة للارتباط بالباري. صلّوا النوافل واعتنوا بها، فهي مع التوجه وسيلة للارتباط.

إنكم شباب، ويجب أن تعلموا قيمة شبابكم، إن معرفة هذه القيمة تكون بمعرفة كل إنسان. أياً كان وضعه أو موقعه عمله. لقدراته الشخصية والاستفادة منها. إن عمر وزمان شباب الإنسان هو مركز ثقل قدراته.

## اغتنام الشباب

أما كيف نعرف قيمة الأشياء، فإن ذلك يكون بتفعيل قدراتها والانتفاع منها قبل أن يأتي اليوم الذي قد نفقدها فيه. فالرياضة البدنية مثلاً هي نوع من معرفة قيمة القدرات البدنية للإنسان. أنتم تستطيعون معرفة قيمة القدرات البدنية للإنسان. أنتم تستطيعون معرفة قدرات أجسامكم بالرياضة وبها أيضاً تؤمنون قدرًا من صحة أبدانكم، وإن تأخرتم في هذا الأمر فقد لا تحصلوا في المستقبل على النتيجة المرجوة منه.

أنتم الشباب عليكم أن تستفيدوا من كل قواكم أكبر الاستفادة وأكملها، فإن كان لديكم قدرة على المطالعة والتفكير فافعلوا، وإن كنتم قادرين على الحفظ فاحفظوا المسائل المفيدة، فمثلاً أنا أحفظ الآن دعاء كنت قد حفظته من 30 أو 35 سنة وما زلت أتذكره وأقرأه، ولكن في هذا العمر أحفظ دعاءً أو شعراً عربياً وغير ذلك مثلاً ثم أنساه بعد أسبوع فقط. إن معرفة قيمة القدرات هو بكمال الاستفادة منها.

فلنفرض أن مجموعة قد اصطفت في مكان خاص والكل يمشون في خط معين ينتهي بعد مئة متر بأنواع الفواكه والنعم. فإذا قيل لهؤلاء أن باستطاعتهم الاستفادة من هذه النعم سيكون وضعهم مختلفاً، حيث سيكون الكل في حركة دائمة لا تتوقف ولو قليلاً. حتى إن الإنسان لا يستطيع تصور الوقوف لأن الجميع يسيرون في اتجاه واحد بهدف الوصول للتمتع بتلك النعم.

## صلاة الليل

الآن وقت جمع النعم، اقرأوا، طالعوا، اعملوا جيداً، اقرأوا الدعاء، التزموا الرياضة والتزموا برياضة الروح أكثر، أي العبادة، لأن ثمرتها أكبر. صلوا صلاة الليل، صلوها بتوجه، لكن صلاة ليل تعلمون فيها ما تفعلون، لا صلاة دون توجه لأنها تتطلب العناية والتوجه. وبذلك يكون تأثيرها فيكم أيها الشباب أكبر من تأثير صلاة الليل التي أصلها أنا. حافظوا على هذه التأثيرات، وتعلموا كل ما ينفع لغايتكم

وكمالكم. اغتنموا الفرص والأيام فإنها لن تعود. إن فعلنا ذلك، ثم ألقينا نظرة أخرى بمنظار أوسع، سنجد حياتنا في هذه الدنيا مشبعة ذهبية مع أنها لا تتجاوز الستين أو السبعين سنة. لقد كان لنا قبل هذه الحياة حياة أخرى، وكذلك فبعد هذه الدنيا سيكون لنا حياة أخرى. إن حياتنا التي قبل هذه الحياة هي حياة ضعيفة، وبعد الموت والرحيل عن هذه الدنيا سينقطع عنا بعض أشياء الحياة الآتية، وما هو مهم هو حياتنا في هذه الدنيا وكل ما نريد فعله. إن هذه الحياة هي الساحة التي يتطور فيها الإنسان، هذه الحياة هي التي تعطيك فرصة ذهبية للوصول إلى الكمال. إن الحياة الدنيا زمان حسن. اسعوا لكي تعرفوا قيمته ولا تخسروه.

اسمعوا لهذه النصائح التي قد ذكرتها مراراً واعملوا بها. فإن سمعتم ولم تعملوا فستعتادون على ذلك وسوف لن تسمعوا بعدها أبداً ولن تعملوا. اسعوا لمعرفة قيمة حاضرهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته